مدينة جميلة بروائع العصر الروماني

يوجد بالمدينة ساحتان عموميتان

تراث هندسي يضرب في عمق الحضارة الرومانية

مدينة جميلة الأثرية.. من أبرز المعالم السياحية بالجزائر

تقع مدينة جميلة، أو مدينة «كويكول» الأثرية، على بعد 50 كلم شمال شرق مدينة سطيف بالقرب من الساحل الشمالي الشرقي من الجزائر العاصمة، وقد كانت في القدم أحد المدن الرومانية الهامة ولعل ما تبقى بها من آثار مازالت تحتفظ بهيكلها الأصلي إلى الآن وإدراجها على قائمة اليونيسكو في عام 1982 ابرز الدلائل على ذلك.

وتحت اسم Cuicul، بنيت المدينة خلال القرن الأول الميلادي بوصفها حامية عسكرية تقع على هضبة مثلثة ضيقة ذات تضاريس وعرة بعض الشيء، كونها تقع في نقطة التقاء نهرين. وقد اتجه مؤسسيها إلى خطة موحدة في البناء بما في ذلك ساحات في المركز وشوارع الرئيسية، وبعد أن كانت مستعمرة عسكرية تحولت لتصبح سوق تجارية كبيرة، وكانت الموارد التي ساهمت في ازدهار هذه المدينة الزراعية قديما «الحبوب، أشجار الزيتون والمزارع).

بنيت Cuicu على ارتفاع 900 متر فوق مستوى سطح البحر في موقع استراتيجي هام على مفترق الطرق بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب على سلسلة من التلال الجبلية، وتحيط بها الوديان، فكانت المدينة التي يصعب الوصول إليها وبالتالي فكان من السهل الدفاع والمراقبة من القمم المحيطة بها.

وتتكون المدينة من ثلاثة أجزاء: المدينة القديمة أو الضواحي الشمالية، المدينة الجديدة أو المناطق الجنوبية ومنطقة تسمى « المسيحية «جنوب شرق البلاد. وقد شهدت السنوات الأخيرة إنشاء المتحف، الذي يتم الوصول إليه من المناطق الجنوبية بواسطة درب تصطف حوله الأشجار والمروج، بالقرب من مدخل الحديقة الأثرية الواقعة في أدنى جزء من المدينة.

وتضم منطقة جميلة الأثرية العديد من المعالم الأثرية الرومانية ويوجد بها ساحتان عموميتان أولهما كانت تعتبر مركز الحياة السياسية للمدينة، بها قاعة اجتماع مجلس الشيوخ والمحكمة ومعبد فينوس، وتقع على جانب الطريق أو الكاردو

الفورم الجديد بالمدينة

الحمامات الرومانية في جنوب جميلة

الرئيسي شرقا، وهي ساحة مبلطة طولها 48 م وعرضها 44 م. وكانت قد نصبت على بلاط الساحة تماثيل عديدة نقشت عليها إهداءات تشهد على الإخلاص للأباطرة وعلى ذوق التباهي والتفاخر لدى البرجوازية الإفريقية. ومازالت ظاهرة للعيان لحد الآن.

أما الثانية فكانت تسمى بساحة الجنوب، وتعتبر حديثة النشأة بالنسبة للأولى، فقد بنيت الساحة الثانية بسبب ضيق المساحة والتوسع العمراني، حيث تشرف على الساحة بنايتان عظيمتان هما «قوس النصر» الذي اقيم عام 216 م على شرف الإمبراطور «كاركلا». الذي أعيد ترميمه اليوم، وكان يستخدم كمدخل للساحة، والمعبد الكبير الذي شيد سنة 229م تكريما وتخليدا لأسرة «سبقي روس»، والذي يتقدمه ما يسمى ب «المسرح» الذي حفر في هضبة تستند إلى مقاعد المدرجات.

في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث ميلادي أصبح حصن المدينة الأصلية « الفورم القديم» الذي كان مركز الحياة السياسية للمدينة لا يتناسب مع حجم التوسع العمراني بالمدينة فتم بناء ساحة عمومية ثانية سميت أيضا فوروم الجنوب أو ساحة السيفيريين. وعلى عكس المخطط الكلاسيكي، فإنّ هذه الساحة ذات الشكل غير المنتظم كانت أوسع من الفوروم القديم وأقل منه ازدحاماً، كما كانت مفتوحة لحركة المرور.

كانت دكاكين كوزلنيوس في جميلة شبيهة بدكاكين تيمقاد، ولكنها أكثر خزفا، كما كان لهذه السوق رتاج خارجي مرفوع على ستة أعمدة، وبركة وغرفة للموازين وتماثيل للمؤسس وأخيه والإلـه مركور ويعد سوق كوزلنيوس من أشهر الأسواق وبه رواق خارجي مرفوع على ستة أعمدة وبركة وغرفة للموازين وتماثيل للمؤسس وأخيه، وقد وجدت الكثير من الوسائل والأواني التي كانوا يستعملونها والدالة على طريقة عيشهم، بالإضافة إلى الحلي التي كانت مدفونة بباطن الأرض.

جانب من الكابيتول

ومن أبرز المعالم السياحية الرومانية التي تخطف أبصار زائري هذه المدينة الجميلة « الحمامات الرومانية» الموجودة في جنوب جميلة.والتي يؤرخ تصميمها إلى وجود بهو يفضي إلى قاعة للرياضة على شكل قبو، ومن يرتادها يمر من قاعتي الملابس إلى قاعة التبرّد وهي فسيحة الأرجاء ذرية الفسيفساء وصفائح المرمر، فيها حوضان صغيران وحوض كبير تفصله عن الحوضين الأخرين مجموعة من أعمدة المرمر الوردية اللون.و تاتي بعد ذلك الغرفة الساخنة. وفي جانبها منفذان يفضيان إلى الغرفة المعتدلة الحرارة، وإلى حوض صغير ماؤه سخن. وقد بنى أكبرها في عهد الإمبراطور كومودوس.

أما «الكابيتول» والذي يقع في الشمال الشرقي للفوروم ويحتفظ ببعض أجزاء« إلى الآن فكان المركز الديني والسياسي في جيميلة، يكرس لعبادة جوبيتير، جونو، مينيرفا.

وفي مسرح جميلة أنت مدعو لمشاهدة أجمل ما تركه الرومان في هذا الموقع والذي حفر في هضبة تستند إليها مقاعد المدرجات، وما زال يحفظ إلى الآن احتفاظا كاملا بالجدار المواجه للخشبة، والمزين بكوات مستديرة حينا ومربّعة حينا آخر، بقصد الحصول على صدى جيد للأصوات. ويمكن الدخول إليه من قوس ساويرس الذي يفتح على الساحة، ويمكن أن تستوعب أكثر من 3000 متفرج الذين يضعون وفقا لرتبته الاجتماعية : مجلس الشيوخ والفرسان في الصف الأمامي، والناس في الأعلى.

ويوجد في هذه المدينة العتيقة متحف يسمى باسمها ويضم الكثير من الاكتشافات الأثرية الهامة والفريدة من نوعها، مثل ضريح باخوس المستوحاة من أسطورة ديونيسوس. ويتكون من حديقة بها فناء وثلاث غرف مسقفة بها شواهد وأعمدة وأما الباحة الخلفية يتواجد بها الفسيفساء والمنحوتات.

وعندما تتجول أثناء رحلتك بهذه المدينة التي حتما ستكرر زيارتك إليها سيسترعي انتباهك مدى دقة وجمال التصميم العمراني الذي تمتاز به المنازل التي كان يسكنها العامة من الناس، وعلى الرغم من أن من يسكن فيها ليس الملوك أو الامراء إلا أن جمال بناءها الهندسي المتناسق قد يوحي لك بذلك.

البعض من تلك المنازل يوجد في المدينة القديمة، وقد أجريت حولها مؤخرًا دراسات معمقة. وقد أمكن بفضل النقوش، والفسيفساء، معرفة أسماء بعض مالكي هذه الديار، أمثال - كاستوريوس - التي بُنيت دارد على أرض مساحتها 1600م2 وهو أحد الحاكمين مع - لوسيوس كولود يوس بروتو. وعلى غرار كل المنازل الغنية كان منزل - كاستوريوس - ينتظم حول باحة داخلية يحفها رواق معمد تحيط به غرف مختلفة.

المسرح الروماني بالمدينة

متحف مدينة جميلة

روعة التصميم المعماري في مدينة جميلة